الحجاج في كتاب المفاخرات والمناظرات
(مفاخرة الشمس والقمر انموذجاً)

م .د آيات عبد جوني
الجامعة المستنصرية
كلية الآداب

م. د. عبير فاضل
جامعة بغداد
كلية التربية للبنات

Abstract

The Al-Hajaj concept is divergent and ambiguous, because of the complexity of its fields , the multiplicity of uses and contrast its terms of reference. It derives its meaning . boundaries and functions from rhetorical reference, and from communicative field, which is incorporated in the strategies .

The theme of our research (The sun and the moon boasting). It is a debate between the two planets in which the author wanted through them to access his goal which means apologizing and groveling and propitiation for governor.
Almunazarat belongs to the Hajaji speech or persuasion . It is a literary prose type appeared in the third and fourth Hijri centuries. It contributed to the political, social and cultural factors developed by a number of writers.

The aesthetic of those debates lie in the emotion, power of submission and on the response from the viewer and the objector. It depend on reason , conclusion and logical conditions, as well as to the recognition of the data put forward by opponents. In such a debate one will present a hypothesis and defend it, while the opponent tries to refute it by the power of style and beauty of the language.

Al-Munazgharat is an important factor in reversing reality through mental and intellectual discourse. They solve philosophical, ethical and social issues through a dialogue.

الملخص:

يعد الحجاج مفهوماً متشعبا وملتبسا ؛ لتشعب مجالاته وتعدد استعمالاته وتباين مرجعياته،فهو يستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية، ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يندمج في استراتيجياته .

وموضوع بحثنا (المفاخرة بين الشمس والقمر) التي هي نوع من المناظرة بين كوكبين اراد منهما مؤلف المفاخرة الوصول من خلالهما الى الهدف والغاية التي تعني الاعتذار والاستعطاف والتذلل للحاكم.

فالمناظرات تنتمي إلى الخطاب الحجاجي أو الإقناع الذي هو الأصل في توجيه الخطاب إلى متلقٍ ما.وهي أحد أنواع النثر الأدبية التي ظهرت في القرنين الثالث والرابع وما تلاهما من عصور أدبية ،إذ أسهمت عوامل سياسية وثقافية واجتماعية في نشوئها وتطورها على يد عدد من الكتاب ،وتكمن جمالية تلك المناظرات بالانفعال وقوة الطرح والرد من العارض والمعترض ، قوامها العقل والاستنتاج والأحكام المنطقية ، فضلاً عن إدراك المعطيات المطروحة من الخصوم ،إذ يقوم أحدهما بعرض فرضية والدفاع عنها في حين يحاول الخصم (المعترض) تفنيدها وكذلك تقوم على قوة الاسلوب وجمال اللغة وقدرتها على اصابة الهدف واقناع الخصوم والجمهور بالحجة والبرهان، فالمناظرة عامل مهم في عكس الواقع عبر الخطاب العقلي والفكري ؛إذ أنها تعالج موضوعات فلسفية واخلاقية واجتماعية بأسلوب حجاجي معتمداً على الحوار.

الحجاج لغة واصطلاحاً:

الحجاج لغة : وردت لفظة الحجاج في المعاجم من الجذر (ح ج ج) إذ تعني : " الحجة ما دُوفع به الخصم ، ورجال محْجاج أي جدلّ ، التحاج والتخاصم ، واحتج بالشيء اتخذهُ حجّة "[1]

وكذلك ورد هذا المعنى في كتاب اسرار البلاغة إذ قال " حاج خصمه فحجّه ، وفلان خصمه محجوج"[2]

فالمحجوج الذي أشار اليه الزمخشري هو : مغلوب ، والشخص المتكلم الغالب المُحاجِجْ ، والسامع المحاجج المغلوب، أي أنه اقتنع بحجة المتكلم .

وجاء أيضا بمعنى " غلبه بالحجة ، او حاجه محاجةً ، وحجاجاً جادله ، واحتجّ عليه ، أقام عليه الحجة ، وعارضه مستنكراً فعله ، وتحاجوا : تجادلوا ، والحجة الدليل والبرهان "[3]

فهذا دليل واضح على ان معنى الحجاج يكون لخصومة وقعت ، وهذا ما أشارت إليه كلمة غلبة وقد تتنوع الغلبة فقد تكون في الكلام أو في الخطاب او في الشعر الذي يقيم الحجة والبرهان على صحة ما يدّعي بحجج وبراهين ، فيكون الجدال والسجال هو المظهر الذي يجسد تلك الصورة وهو ما يمكن أن نطلق عليه الخطاب الحجاجي .

---

[1] **لسان العرب : ابن منظور ، ج٢، ط١، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨: مادة (ح ج ج) / ٣٨.**

[2] **أسرار البلاغة ، الزمخشري ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، لبنان ، ط١، ١٩٩٨: ٦٠.**

[3] **المعجم الوسيط ، أحمد الزيات وآخرون ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، ط٢ : ج١/ ٩٠.**

ووردت لفظة الحجاج في مواضع متعددة من القرآن الكريم ، وكلها تدل على معنى (الغلبة والخصم) ، وذكر عبد الله بن عباس إن لفظة الحجة قد جاءت في موضع آخر من القرآن بمعنى الحجة ،إذ قال :" القرآن حجة"[٤]

أما الحجاج اصطلاحا: يعد الحجاج نمطاً إقناعياً حاضراً في كل مكان وذلك من خلال المحاورات اليومية والمناقشات . فقد أورد بعض الدارسين عدة تعريفات للحجاج منه ما جاء به أبو هلال العسكري إذ قال : " الحجّة هي الاستقامة في النّظر والمضي فيه على سنن مستقيم من ردّ الفرع إلى الأصل ، وهي الطريق المستقيم وهذا هو الفعل المستدل ...لأن الحجّة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد . والاحتجاج هو الاستقامة في النّظر على ما ذكرنا سواء كان من جهة ما يطلب معرفته أو من جهة غيره."[٥]

وعرفه الشريف الجرجاني أيضاً بأنه " ما دلّ به على صحّة الدعوى ، وقبل الحّجة والدليل واحد"[٦]

فيفهم من هذه التعريفات أنّ الحجة تدلّ على البرهان والإثبات ، وقد اهتم به بعض الباحثين المعاصرين وعلى رأسهم طه عبد الرحمن ،إذ عرفّه بقوله " أنّه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض" [٧]

لذا نجد أنّ تصوّره للحجاج مبني على أساس وجود نيّة الادعاء عند المتكلم ونيّة الاعتراض عند المتلقي [٨]

إن الحجاج بمفهومه الاصطلاحي يعد استراتيجية لغوية ،إذ أنها تكتسب بُعدها من الأحوال المصاحبة للخطاب ، وذلك على اعتبار أن اللغة هي نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات من السياق ، فينقل تصوراته ومدركاته الموجودة في واقعه إلى المستمع قاصداً بذلك التبليغ والتنبيه والتأثير في المستمع وبالتالي يؤدي إلى إقناع الطرف الآخر بكل هذه الطرق .

يتبين لنا من خلال هذا المفهوم أن الحجاج هو جنس من الخطاب ، يُبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه وكأنه أمام محكمة أو قاضٍ ، مدعومة بالتبريرات والحقائق قاصداً بذلك إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه وأحكامه .

والحجاج هو " حمل المتلقي على الاقتناع بما يعرضه عليه أو الزيادة في حجم الإقناع ، فالحجاج بوصفه خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي أو التأثير في سلوكه مما جعلها تندرج تحت مفهومين هما " طريقة تحليل واستدلال الهدف منها تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك "[٩]

أما المفهوم الثاني فيرى أن الحجاج هو " عملية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين "[١٠]

---

[٤] الجامع المسند الصحيح ، محمد بن اسماعيل البخاري، تح محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة ، ط١ ، ٢٠٠٢: ج٢/ ٨٢.

[٥] الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد ابراهيم ، دار العلم والثقافة ، مصر ، د.ت : ٧٠.

[٦] التعريفات ، الشريف الجرجاني ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣: ١٤٥.

[٧] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٨: ٢٢٦.

[٨] المصدر نفسه : ٢٢٥-٢٢٦.

[٩] ينظر : الحجاج في الشعر العرب القديم من الجاهلية القرن الثاني الهجري ، بدايته واساليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، ط١ ، ٢٠٠١: ٢١.

[١٠] ينظر : البلاغة والاتصال ، جميل عبد الحميد ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠: ١٠٥- ١٠٦.

الحجاج عند النقاد والبلاغيين قديماً وحديثاً:

عرف الحجاج قديما تحت مسميات عدة منها : البلاغة والخطابة والإقناع فضلاً عن الجدال والحوار والتناظر والإلقاء وما إلى ذلك من المسميات لذا سنعرج على بعض النقاد والبلاغيين في الثقافتين الغربية والعربية قديماً وحديثاً للوقوف على مفهوم هذا المصطلح .

أ. الحجاج في الفكر الغربي القديم :

عرف الحجاج في الفكر الغربي القديم لدى الفلاسفة اليونان الأوائل تحت مسمى – المنهج الجدلي) كما هو الحال عند سقراط وافلاطون والسفسطائيين .إذ اتخذوه منهجاً لإقناع الآخرينأو التأثير فيهم، وكذلك استعمل وسيلة للوصول إلى الحقيقة وبناء المعرفة الحقة.ومن أبرز من أشار اليه :

– أرسطو :كان اهتمام اليونانيين القدامى منصباً على فنون الكلام المختلفة ، ولاسيّما الخطابة التي اشتهرت عندهم وكان أرسطو ممن نظر إلى الفنين معاً (الخطابة والشعر) ، منطلقا في منهجه هذا من التنظير الذي وضعه استاذه سقراط ، إذ اعتمد ارسطو على صورة الاستدلال الأكثر أهمية المتمثلة في صوره القياسية التي ترى أن الاستدلال :" قولٌ مؤلفٌ من أقوال إن سُلم به لزم عنها بالضرورة قول آخر " [١١]

فضلاً عن أنه ربط بين خاصة الكلام والتعبير عند الإنسان وبين الإقناع " فالإنسان لأنه متكلم معبر يبحث بطبعه عن الإقناع ، ويحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدة من التفكير الذي حوبي به من الطبيعة "[١٢]

وقد أهتم أرسطو بالحجاج الذي أكد أن منبعه هو التساؤل والخلاف والحيرة حول قضية أو جملة قضايا ، ويعدّ السؤال والسائل في هذا المجال أهم من المجيب ، لأنه منها تتحدد معالم الاشكالية المطروحة ، والحجاج أوثق صلة بالأمور العقلية والسلوكية ، والمجادل في فكره هو يعالج قضية فكرية حادة وصفها أرسطو عدة مرات بأنها أشبه بالنزاع والصراع بين أبطال الكلام. فضلاً عن اهتمامه بأطراف العملية التواصلية (المتكلم ، المستقبل ، الرسالة) وهي عناصر الحجاج الخطابي [١٣] ، الذي يصاغ لجمهور معين يعرفه الخطيب مسبقاً خصائصه الكبرى ، وبالتالي يتوجه إليه باستدلالات إقناعية محددة يسعى من ورائها لدفعهم إلى الفعل ، وهذا جعل الحجاج عند أرسطو عملية تقوم فيها الحركة الهادفة إلى تجسيد الإقناع على جوانب متعددة [١٤]

ب.الحجاج في الفكر العربي القديم :

أولى البلاغيين والنقاد العرب القدامى عناية كبيرة للكلام والتخاطب ، فعمدوا إلى تقسيم الكلام إلى عدة وجوه تتناسب مع أحوال المتكلمين والمتلقين أياً كان ومهما كانت طبقته ، ومن أبرز من أهتم بهذا الجانب:

- الجاحظ: يعد الجاحظ من البلاغيين والنقاد القدامى الذين ألحوا لنظرية الحجاج في مؤلفاتهم ، إذ أكد في كتابه البيان والتبيين على أهمية البيان لأن الغرض منه الإفهام إذ قال " البيان أسم جامع لكل شيء كشف لك قناع

---

[١١] الحجاج في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ، ٢٠٠٨، ط١ : ٣٦.

[١٢] كتاب الخطابة ، ارسطاليس ، ترجمة إبراهيم سلامة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط٢ ، ١٩٥٣: ٢٢- ٢٣.

[١٣] الحجاج في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم الأمين الطلبة :٤٤.

[١٤] المصدر نفسه : ٥٦.

المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله ..... والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان "[١٥]

فالجاحظ من خلال تعريفه للبيان وتأكيده على افهام السامع وإقناعه ،فهو عنده بمعنى " ينطوي على استحضار الآخر من جهة واعتبار الوظيفة التواصلية للقول من جهة أخرى "[١٦]

فيتبين لنا أن الجاحظ قد ألمح إلى البدايات الأولى للعلاقة بين الحجاج والبيان إذ يمكن أن نعده من البحوث المهمة للحجاج وذلك من خلال الكشف عن المعنى وهتك الحجاب الذي يعني الإقناع والإفهام ، وهذه العناصر بدورها تكّون العملية الحجاجية بين فعلي الإنتاج والتلقي ، ويؤكد كذلك ارتكازها على عنصرين هما (الصوت ، والإشارة) مما يعطي للباحث المجال في التفكير الى إن ماجاء به الجاحظ لحاجات البيان تنطبق على الآلات والوسائل الحجاجية المعروفة في الدراسات التداولية الحديثة ، والتي تعد من أهدافها هي استمالة القلوب والإفهام من جهة وبلاغة الأسلوب الحجاجي من جهة أخرى .[١٧]

- عبد القاهر الجرجاني :أما عبد القاهر الجرجاني فنلحظ أنه لم يبتعد كثيراً عما ذهب إليه الجاحظ من حيث المنطق والوجهة ، فكلاهما يتخذ البيان وجهة ووسيلة وهدف ، إذ انطلق من نظرية النظم أي نظم المعاني في النفس ،واصبح ملزم بأن يقدم تفسيراً لعملية انتاج الكلام ، وهكذا استطاع أن يقف على المكون الأفكار الأربعة (النظم ، البناء ، الترتيب، التعليق) [١٨]

ونرى إذ كان الجاحظ قد أكد على إن الحجاج يكون من وجهة نظره هو أثر الخطاب في المتلقي من خلال استحضار المقام ، أي طبيعة المخاطبين وظروفهم ،فإن الجرجاني قد أشار إلى شيء في نفس المتكلم أو السامع وهذا الشيء رسخ فيه ومصاحب له والنفوس كالمجهولة عليه ومن ذلك قوله : " أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي وتأتيها بصريح بعد مكنى ، وإن تردها في الشيء تعلمها إياه" [١٩]

لذا فنظرة الجاحظ تعتمد على البيان والاستدلال وذات وجهة إقناعية ، بينما الجرجاني تقوم على الذوق والاحساس الجمالي المرتبطين ببعض الجوانب الشكلية .[٢٠]

- السكاكي : أما الحجاج عند السكاكي فقد توضح لديه من خلال تناوله للبلاغة ، إذ يرى أن البلاغة في جانب منها إقناعية ، فضلا عن الاستدلالواللزوم في البيان ، كذلك أهتم بالمقام والمستمع في تأكيده على أهمية الدليل والاستدلال في البلاغة ،إذ قال " وعندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء

---

[١٥] البيان والتبيين ، ابو عثمان الجاحظ ، مكتبة الهلال ، ٢٠٠٣: ج١/ ٨٢.

[١٦] بلاغة الإقناع في المناظرة ، د. عبد اللطيف عادل ، منشورات ضفاف ، ط١ ، ٢٠١٣: ٦٣.

[١٧] ينظر : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، محمد العمري ، دار افريقيا ، الشرق ، المغرب ، ١٩٩٦: ١٤٤.

[١٨] ينظر : الأصول :دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، تمام حسان ، عالم الكتب ، ٢٠٠٠ :٥.

[١٩] اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، جدة ، ١٩٩١، ط١ : ١٢١.

[٢٠] ينظر : الفكر اللغوي عند العرب : ٢٢٧.

واحد من جملتها ، وشعبة فردة من دوحتها ، علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان "[٢١]

وفي معرض حديثه عن مقامات الكلام أكد بأن للمقام دور في الإقناع إذ أن له نصيب من اهتمام السكاكي ،إذ يقول في هذا الموضع " لايخفى عليك إن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذم ... ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار "[٢٢]

لذا نلحظ إن ملامح البلاغة الإقناعية تتحدد لدى السكاكي التي يتواتر فيها الاستدلال والاستلزام وعنصر المقام علاوة على الطبيعة الاستدلالية للصورة البيانية .

- ابن وهب: أما ابن وهب فرأى أن الحجاج هو نوع من أنواع النثر ودليله على ذلك ما جاء في قوله " الاحتجاج على من زاغ من أهل الأطراف " [٢٣]

ثم يضعه تحت مسمى آخر هو (الجدل) ويوظفه ضمن تعريفه إياه " وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه من اعتقاد المتجادلين ، ويستعمل في المذاهب والديانات ، وفي الحقوق .... "[٢٤]

ولا يختلف الأمر كثيراً عند ابن خلدون الذي كان دقيقاً في تعريفه للجدل ، بل لقد عرّفه وظيفياً وجعل الاحتجاج وجهاً من وجوهه إذ قال " وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً ، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ، ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ ، فاحتجاج الأئمة الى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظرين عند حدودهما في الرد والقبول وكيف يكون المستدل والمجيب..." [٢٥]

فالذي نلحظه من خلال تعريف ابن خلدون أنه أول من أشار الى الحجاج في المناظرة وأصولها وآدابها وأحوال المتناظرين والأحكام التي يجب أن يراعوها في احتجاجاتهم وأخذهم وردهم .

ونراه في موضع آخر قد صاغ تعريفاً دقيقاً للمناظرة جاء فيه " ولذلك قيل انه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه كان ذلك الرأي في الفقه وغيره "[٢٦]

فنجد أن كلاً من أبن وهب وابن خلدون يجعلان الحجاج آلة من الآلات الجدل وجزء منه ، لكن آراؤهم ليست بعيدة في دلالاتها عمن أورد الحجاج كوجه من أوجه الكلام واجناسه كما يذهب الى ذلك حازم القرطاجني في قوله " لما كان

---

[٢١] مفتاح العلوم : السكاكي ، تحقيق نعيم زوزور ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧: ٤٣٢.

[٢٢] المصدر نفسه : ١٧٠- ١٧١.

[٢٣] البرهان في وجوه البيان ، أبو الحسن اسحاق بن وهب ، تحقيق وتقديم : حفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، عابدين ، مصر ، د.ط ، د.ت : ١٥٠.

[٢٤] المصدر نفسه :١٧٦.

[٢٥] المقدمة ، ابن خلدون ، مكتبة المدرسة ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط٢، ١٩٦١: ٨٢٠.

[٢٦] المصدر نفسه : ٨٢٠- ٨٢١.

كل كلام يحتمل الصدق أو الكذب إما أن يرد على جهة الأخبار أو الاختصاص ، وأما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال ..."[٢٧]

والاستدلال كمفردة الاقناع التي تعد لدى حازم القرطاجني ركيزة للخطابة في مقابل التخييل في الشعر .

- الحجاج في الفكر الغربي والعربي حديثاً:

أما في الدراسات الحديثة في الفكرين (الغربي والعربي) فقد أصبح الحجاج موضوعاً خاصاً قائماً بذاته ، ويتفاعل مع مجالات خاصة كذلك " ففي منظور بعض هذه الكتابات نجد الحجاج أو التدليل يشيران إلى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع والإفحام معاً ، مهما كان متلقي هذا الخطاب ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك ..وقد تمخضت فكرة الحجاج بمفهومهما الحديث لدى بعض النقاد الغرب والعرب المحدثين الذين استنبطوا رؤاهم وأفكارهم المختلفة حول الحجاج من اراء من سبقوهم ، ومن ابرز من اشار الى الحجاج :

- ليبرمان : تمخضت فكرة الحجاج لديه من خلال دعوته إلى إعادة قراءة البلاغة الكلاسيكية قراءة مستحدثة وتدعيمها بمناهج جديدة من ذلك قد أدى به إلى استحداث مصطلح البلاغة الجديدة الذي جاء عنوان أحد أشهر كتبه الحديثة عام ١٩٥٨ تحت عنوان(مقال في البرهان – البلاغة الجديدة) إذ تقوم فكرة الكتاب على محاولة تأسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية باعتباره تحديداً منطقياً بالمفهوم الواسع كتقنية خاصة ومتميزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي على وجه التحديد وامتداداته إلى بقية المجالات للخطاب المعاصر " [٢٨]

فالذي يمعن القراءة الدقيقة لهذا القول يرى أنه يؤكد على الوظيفة التواصلية للغة ذات العلاقة بالتقاليد البلاغية الكلاسيكية كون الخطاب البرهاني يهتم بدوره بالأشكال البلاغية كأدوات أسلوبية ووسائل للإقناع والبرهان ، الذي يتوضح من خلال نظرية المحاجة التي يرى انها " لا يمكن أن تنمو إذا تصورنا أن الدليل البرهاني إنما هو مجرد صيغة مبسطة بديهية لذلك فهدف نظرية بيرلمان هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم او تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته"[٢٩] .

ويتميز الحجاج عند ليبرمان بخمسة ملامح هي :

١. أن يتوجه إلى مستمع .
٢. أن يعبر عنه بلغة طبيعية .
٣. مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية .
٤. لا يفتقر تقدمه – تناميه – إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة .
٥. ليست نتائجه ملزمة . [٣٠]

---

[٢٧] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تونس ، د.ط ، ١٩٦٦: ٦٢.

[٢٨] بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ، عالم المعرفة ، العدد ١٦٤، آب ، ١٩٩٢: ٧٣.

[٢٩] المصدر نفسه : ٧٤.

[٣٠] مفهوم الحجاج عند ليبرمان ، محمد سالم ولد الأمين : ٦١.

وبالتالي يخلص إلى أن الحجاج هو " عبارة عن تصور معين لقراءة الواقع اعتماداً على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب"[٣١]

كما أكد على عناصر الحجاج التي يكون من أهمها (السامع) إذ أنه يعده " السبب الفعلي الذي لولاه لما كان الحجاج أصلاً " ، فضلاً عن اهتمامهبمظاهر التواصل والتجاوب (المكتوب والمنطوق والإشاري) الذي يهدف إلى تأسيس بناء فكري عميق تندمج فيه أبعاد المتكلم والسامع والمقام مما يحمل المنتج الجديد الخصائص الجوهرية لهذه المكونات الثلاثة "[٣٢]

- الحجاج عند رولان بارت: ولم يبتعد بارت كثيراً عن مفهوم بيرلمان من خلال نظرته الى البلاغة القديمة ،إذ انه ركز على أصولها الأرسطية، ويشير إلى تراجع البلاغة واختزالها في (نظرية الصياغة) التي حصرها في (الصور والوجوه والزخارف أو الأسلوب عموماً) ، فهو يرى إن الوظيفة الإقناعية للبلاغة تجعل من التواصل معركة ، تستوجب لكسبها حيازة الإمكانات الفكرية للمتكلم التي هي (الدليل ، الحجة ، العلامة ، الإمارة ، القياس ، المحتمل ، الاستدلال) وكذلك العاطفة التي تشمل (التحريك ، التهيج ، الإنفعال ، الأحاسيس ، العواطف ، الطبائع ..) واللغوية (الوضوح ، الدقة ، السلامة ، الصور ، الأساليب ، الوجوه ، الزخارف..) وبالتالي فالبلاغة من وجهة نظره ليست جمالية للغة بقدر كونها فلسفة للتفكير وثقافة المجتمع .. اسلوبية الحوار ، ومثال ذلك العقل البشري عموماً . لفظ البلاغة بهذا يمتلك دلالة مزدوجة ، فهي أداة محاججة–وسيلة – تفكير – تقنية للإقناع إضافة إلى كونها فن للقول ،و جودة الحديث "[٣٣]

لذا نلحظ ان الحجاج عند بارت ينطلق من التقسيمات القديمة للبلاغة ، ليصيغها فيما بعد بمصطلحات توافق النظريات اللغوية الحديثة ، وقد أطلق مصطلح (الابتكار) على المحاججة أو ما يسميه (ابتكار الحجج) ،أي المقصود به الشيء الموجود مسبقاً فهو مفهوم (استخلاصي) أكثر مما هو إبداعي وتحدده جهتان هما :

الأولى : تعقد التقنية الجيدة أو المنهج ، منهجه الحجاجية مع المادة لجلب محتوى خطاب رائع .

أما الثانية : غياب الابتكار كتقنية لتوليد اللغة والكلام أو اللامنهجية لا تجدي شيئاً وهذا الابتكار ينزع عنه طريقان اساسيان الأول منطقي والاخر نفسي وهما ما يعبر عنه بـ(الإقناع والتحريك) وهذا الإقناع يعتمد آلية منطقية أو شبه منطقية هي التصديق (مجال الأدلة) لأحداث هزة أو ردة فعل تناسب وذهن المتلقي .[٣٤]

- الحجاج في الفكر العربي الحديث:

لم تختلف نظرة الدارسين العرب للحجاج كثيراً عما جاء به الدارسين الغرب من حيث العرض والتفسير واختلفت عنها من حيث التطبيقات وتحديداً في الدراسات القرآنية والتراثية ، وتتبلور فكرة الحجاج بشكل واضح لدى باحثين بارزين هما :

---

[٣١] المصدر نفسه : ٦١.

[٣٢] ينظر مفهوم الحجاج عند بيرلمان :٦١-٦٣.

[٣٣] ينظر : قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، رولان بارث ، ترجمة عمر أوكان ، أفريقيا ، الشرق ، المغرب ، ط١، ١٩٩٤: المقدمة .

[٣٤] ينظر المصدر نفسه : ٤٩- ٥٠.

- طه عبد الرحمن: فأهم ما يميز الحجاج عنده أنه يتميز بطابع فلسفي ، لأنه يرى بأنه لابد أن يكون مثل هذا النوع من الخطاباتفلسفيأمادام يتعلق الأمربالكلام والخطاب عموماً.

ويحدد طه عبد الرحمن نظرية للحجاج انطلاقاً من كونه صفة للخطابة إذ يقول " إن الأصل في تكوثر الخطابة هو صفته الحجاجية ، بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج "[٣٥]

وهو في تعريفه هذا ينطلق إلى بيان قصدين في الخطاب هما : قصد الادعاء ، وقصد الاعتراض .

ثم يصنف الحجاج إلى :

- الحجاج التجريدي : الذي ينبني على اعتبار الصورة وإلغاء المضمون والمقام ، وهو من المراتب الدنيا للحجاج .
- الحجاج التوجيهي : وهو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل ، والتوجيه هنا هو إيصال المستدل حجته إلى غيره . وهذا النوع الحجاجي تدعمه النظرية اللسانية المعروفة باسم (نظرية افعال الكلام) ، والتي ترد الأفعال إلى القصد والفعل وهما عماد التوجيه .
- الحجاج التقويمي : هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على ان يجرد من نفسه ذاتاً ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه ، أو ما يسمى بالتشخيص (في النظرية اللسانية) ،أي أنه يبنى أصلاً على اعتبار فعل الإلقاء وفعل التلقي معاً على سبيل الجمع والاستلزام [٣٦]

كذلك نلحظه في كتابه الآخر (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام) يوضح خاصية من خصائص الحجاج وهي (الحوارية) أو تحديداً المحاورة ، على اعتبار نقاط فاصلة بين هذا المصطلح ومصطلحات أخرى من الجذر والحقل الدلالي نفسه .[٣٧]

- الحجاج عند محمد العمري : وهو يسميه في كتابه (في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) الخطاب الإقناعي .

إذ انه تتبع الخطاب الإقناعي (الحجاج) وذلك بالعودة إلى الأصول الأولى له وهي بلاغة الخطاب الأرسطية ولاسيما الحجج والبراهين الخطابية ،إلاّ أنه قد ركز من أجل ايضاح الحجاج على عنصرين اثنين من عناصر الإقناع وهما : المقام وصور الحجاج (القياس ، المثل ، الشاهد) إضافة إلى عنصر الأسلوب .

ثم صنف المقام إلى أنواع منها :

(مقامات الخطابة السياسية ، مقامات الخطابة الإجتماعية)

ثم جعل الحجاج في صور ثلاث هي :

١. القياس أو القياس الخطابي : وهو القياس المضمر القائم على الاحتمالات التي تكفي في معالجة الامور ومنها التعارض والتضاد المستقصي .

---

[٣٥] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨: ٢١٣.

[٣٦] المصدر نفسه : ٢٢٧- ٢٢٨.

[٣٧] ينظر في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، طه عبد الرحمن ، المركز العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ،ط٢ ، ٢٠٠٠: ٥٧.

٢. المثل : هو استقراء بلاغي أو حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتهما ، ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها ، ويعتبر دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحققه من إقناع وتأثير .

٣. الشاهد : وهو من الحجج الجاهزة أو غير الصناعية كما يسميها "أرسطو" ويجمع الأمثال والأبيات الشعرية والآيات القرآنية .[٣٨]

- **المناظرة :**

المناظرة لغة : ورد في لسان العرب أن المناظرة : "أن تناظر أخالك في أمر ، إذا نظرتما معاً كيف تأتيانه . والتناظر التراوض في الأمر ، ونظيرك الذي يراوضك في الأمر وتناظره ، وناظره من المناظرة . رآهما سواء . يقال ناظرت فلان أي صرت نظيراً له في المخاطبة ، وإذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكّراً فيه وتدبراً بالقلب "[٣٩]

وجاء في تاج العروس أن "النظر محركة الفكر في الشيء تقدّره وتقيسه ... فإذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكراً وتدبراً بالقلب ، والتناظر التراوض في الأمر ونظيرك الذي يراوضك وتناظره ، والمناظر المثل والشبيه " [٤٠]

أما اصطلاحاً: فقد أطلق العرب لفظ المناظرة على أحد أشكال الجدل الفكري القديم والذي يعتمد على الخطاب الشفوي ، فقد جاء في كتاب التعريفات أن المناظرة هي : " النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب "[٤١]

وهي أيضاً" عملية تشاركية تتم عن طريق تبادل الكلام والآراء المتعارضة في موضوع ما يثير الجدل كبعض الموضوعات السياسية والأدبية "[٤٢]

وقد تعددت ألفاظ المناظرة في التراث العربي ، فيرى د. طه عبد الرحمن أننا إذا أدخلنا في الاعتبار الدعوى التي تقول :بأن اللغة تحمل سمات فكر من يتكلمونها ،فإن غنى معجم المناظرة في اللغة العربية ليدل بحق على تداول المسلمين الأغلب لهذا المنهج الجدلي والتزامهم به أكثر من غيره ، ومن أبرز تلك المفردات هي (المناظرة والمحاورة ، المخاطبة ، المجادلة ، المحاججة ، المناقشة ، المنازعة ، المذاكرة ، المباحثة ، المجالسة ، المفاوضة .... الخ [٤٣]

فالمناظرة هي محاورة فكرية بين طرفين متخاصمين ، تعالج موضوعاً محدّداً يقوم أحد الطرفين بطرح الإشكالية ليسعى الخصم لإبطالها ، ويكون ذلك بالحجة والبرهان ، وتدور المناظرة بحضور حكم عارف بعلم الكلام ،

---

[٣٨] ينظر : في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، لبنان ، ط٢، ٢٠٠٢.

[٣٩] لسان العرب ، المجلد الخامس : ٢١٦- ٢١٩.

[٤٠] تاج العروس ، الزبيدي ، المجلد الثالث ، ط١ ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٠٦هـ : ٥٧٤.

[٤١] التعريفات : ٢٢٨.

[٤٢] ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، كامل المدرس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٩: ٢١٤.

[٤٣] ينظر : في أصول الحوار :٦٩.

وبأسس المناظرة وقواعدها وشروطها وادابهالتنتهي المناظرة بسكوت أحد الطرفين عند انهزامه أو ارتباكه ، أو يتدخل الحكم لحسم المناظرة إذ لاحظ تعنت أحد الطرفين رغم بطلان موقفه " [٤٤]

نشأتها:

لما كانت المناظرة تشكل نتيجة لنشاط فكري وحضاري ساهمت بدورها في نشأة التفكّر العقلي وفي حيوية الفكر الشعَبي، إذ تعود نشأتها إلى القرن الثاني للهجرة ، وهي جنس فكري ، عرف مراحل تطورية مختلفة عند العرب ، إذ تحول من المجادلة الشفوية البسيطة إلى المناظرة الكلامية المتضمنة لعقيدة مذهبية تعبّر عن توجه فكري بعد القرن الثاني الهجري [٤٥]

إن تتبع الجذور التاريخية للمناظرة يتطلب منا العودة إلى الجذور الإغريقية القديمة التي كانت تقوم على المحاورة واللاتينية التي تلتها بالإضافة إلى ذلك فهي على علاقة وطيدة بالأنواع الأدبية التي عاصرتها في المشهد الثقافي ، فتتبع تلك المراحل ودراسة النصوص المولّدة وربطها ببعضها يسمح لنا بمعرفة الأصول الحقيقية للمناظرة وفهم ماهية الخطاب والنصوص المولدة للمناظرة التي تشمل الخطابة ومنها الخطابة اليونانية والعربية ، وكلاهما يمثلان خطابان حجاجيان من الدرجة الأولى ، إلى جانب ذلك نجد المنافرة سواء بالشعر أو النثر وهو ما يعرف بفن النقائض الذي عرف تطوراً بالغاً في الحضارة العربية ، وكذلك فن المفاخرة الذي يرتبط بالنثر والشعر على حد سواء وإن كانت أكثر حضوراً في الشعر لطبيعة البيئة العربية والفكر العربي الذي يعدّ فكر بيان بالأساس . [٤٦]

فالمفاخرة : الفخر وهو من الأغراض الأدبية الشعرية وهي وليدة الإعجاب بالنفس أو الجماعة التي ينتمي إليها الشاعر ، وقد كان لطبيعة المجتمع القبلي وخصوصية النفس العربية بالغ الأثر في نشأة هذا الفن وتجذره في المجتمع العربي ، وقد كان هذا الغرض من الأدب أكثر الأغراض انتشاراً وتأثيراً في الأغراض الأخرى [٤٧]

إذ يزخر التأريخ العربي بالمفاخرة التي تنوعت وتعددت أشكالها ومضامينها حسب السياقات ، والأمكنة ، والمفاخرة هي تمثل نمط أدبي شفوي لديه علاقة وطيدة بالمنافرة وهي مترسخة في الفكر العربي ويظهر ذلك في كثرة النصوص التي تشي بذلك منذ العصر الجاهلي مروراً بصدر الإسلام والحقب التي تلتها ، فكان الفرد يفتخر بنفسه أو بعشيرته [٤٨]

ومن أمثلة المفاخرات التي زخرت بها المصادر الأدبية ما كان يدور في مجالس الخلفاء والمفاخرات بين النابغة الذبياني والنابغة الجعدي ، هذه المفاخرات على اختلافها وتعدد مضامينها لعبت دوراً بارزاً إلى جانب المنافرة والخطابة في نشأة المناظرة الفكرية ، فالمفاخرة تطورت وتجدّدت مواضيعها بعد الإسلام وسرعان ما ظهرت مقولات

---

[٤٤] ينظر : الفكر العربي الإسلامي (من تأويلية المعنى إلى تأويلية الفهم)، مختار الفجاري ، ط١ ، ٢٠٠٩ عالم الكتب الحديث ، تونس : ٧٢.

[٤٥] ينظر: الفكر العربي الاسلامي : ٥٠.

[٤٦] ينظر المصدر نفسه : ٤٣.

[٤٧] ينظر : الأدب الجاهلي ، غازي طليمات : ١٦٨.

[٤٨] ينظر : الفكر العربي الإسلامي : ٦٢.

وأطروحات فكرية لاهوتية يضيق بها الخطاب المفاخري ، ففاضت عنه ليظهر شكل خطابي آخر تمثل في الخطاب المفاخري .

فالمفاخرة هي نوع من المفاخرة التي تنبني على التباهي بين الطرفين حيث يسعى كلّ طرف أن يبدو أكثر رفعة وشأناً من الطرف الآخر بالإعتماد على الحجج والبراهين [٤٩]

وخلص الدكتور حسين الصديق إلى تعريف مفهوم المناظرة بأنها : شكل من أشكال الخطاب الحجاجي وهي فضلاً عن ذلك نوع أدبي تتخذ مكانها بين أنواع أدبية أخرى في كتب الأدب عامة .

ونخلص من التعريفات السابقة أن المناظرة ممارسة حوارية قائمة على التفاعل بين المتخاطِبَين يشتركان في صنع المعرفة عبر مسار حجاجي .[٥٠]

ويكون للمناظرة شروط يحدد من خلالها إظهار الحق ، وقد حُددت بأربعة شروطٍ هي :

(أن يكون لها جانبان ودعوى ، ومآل يكون بعجز أحد الجانبين ، ولابد أن يكون لكل من الجانبين آداب ووظائف) [٥١]

أركان المناظرة : للمناظرة أربعة أركان فقط أبرزها :

١. موضوع : وهي مسألة أو نقطة البحث تجري حوله المناظرة .
٢. فريقان يتحاوران حول موضوع المناظرة أحدهما مدَّعٍ أو ناقل خبر ، والآخر معترض عليه .
٣. الحكم أو الحكام من أهل العلم والخبرة في موضوع المناظرة .
٤. جمهور المستمعين أو المشاهدين (في المناظرة الواقعية) أو القراء (في المناظرة المتخيلة) .[٥٢]

آداب المناظرة :للمناظرة آداب وأخلاقيات لابد على المتناظرين التزامها ، يمكن اختصارها بما يلي :

١. أن يكون المتناظران متقاربين معرفة ومكانة حتى لايؤدي إلى استعظام أحدهما الآخر أو استحقاره له ،إلى أن يضعف عن القيام بحجة أو يتهاون به .
٢. أن يمهل المناظر خصمه حتى يستوفي مسألته ؛كي لايفسد عليه توارد أفكاره وحتى يفهم مراده من كلامه .
٣. أن يتجنب المناظر الإساءة إلى خصمه بالقول أو الفعل بغية إضعافه عن القيام بحجته ومن ذلك قلة الأصغاء إليه أو السخرية منه .
٤. أن يقصد المناظر الاشتراك مع خصمه في إظهار الحق والاعتراف به؛ حتى لا يتباهى به إذا ظهر على يده، ولا يعاند فيه إذا ظهر على يد خصمه.
٥. أن يتجنب المناظر محاورة من ليس مذهبه إلا أعضاءه لأن من كان هذا مسلكه لا ينفع معه الإقناع بالحجة .
٦. أن يتحرّز المتناظران إطالة الكلام في غير فائدة ، وعن اختصاره اختصاراً يخلُ بفهم المقصود من الكلام .

---

[٤٩] ينظر : الفكر العربي الإسلامي : ٦٣.

[٥٠] ينظر : بلاغة الإقناع : ١٣١.

[٥١] ينظر : أصول الحوار في الكلام : ٧٤.

[٥٢] ينظر : ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، عبد الرحمن حنبكة الميداني : ٣٧٤.

٧. أن يتجنب المتناظران غرابة الألفاظ وإجمالها وان يكون كلاهما ملائماً للموضوع ليس فيه خروج عما هما بصدده.

٨. أن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه مناظره . او يعترف بأن قوة دليله تقدّم ترجيحاً لوجهة نظره ، أو لمذهبه حتى يكتشف شيء آخر يضعف دليله،ويجعله غير صالح للترجيح. [٥٣]

الشاهد الديني في المناظرة :

عمد مؤلف المناظرة إلى إقامة الحجة وافحام الخصم باللجوء إلى النص القرآني عند كل طرف من طرفي المناظرة . "إقامة للحجة وقطعاً للنزاع وإذعان الخصم وبلوغ الغرض ، فقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل مايدور بين الناس في محاوراتهم ، ومخاطباتهم "[٥٤] ،كما"أنّ الآية الواحدة تقوم في بلوغ الغرض، وتوفيه المقاصد ما لاتقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة " [٥٥]

فقد استمدت المناظرة " مقوماتها وبناءها من القرآن الكريم إذ يعمد إليه المحاور أو المناظر توخياً للإقناع "[٥٦]وقد استدعت الشمس شاهداً قرآنياً سعت من خلاله الرد على دعوى القمر بالأفضلية ،إذ قالت ﭽ فتبارك الله أحسن الخالقين ﭼ[٥٧]

وقد استدعى القمر شواهد قرآنية في قوله :{ وللرجال عليهن درجة} [٥٨] في بيان شرفه على الشمس قال :{ للذكر مثل حظ الأنثيين} [٥٩] وأعدل شاهد بالسبق لمن أعتبر ، الشمس لا ينبغي أن تدرك القمر .

وقد استدعت الشمس شاهداً قرآنياً سعت من خلاله الرد على القمر . فأنظر لما القيته عليك بعين الفهم {ولا تقف ماليس لك به علم} [٦٠] .

- **الحديث النبوي الشريف** : استدعى القمر شاهداً دينياً في عمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند رؤية الهلال لتبرير مسألة كونه هلالاً للشك ، ورداً منه على اعتراض الشمس وادعائها بكونه هلال الشك ((هلال خيرٍ ورشدٍ إن شاء الله)) وهو إشارة .
- **الشاهد الشعري** : يمتاز الشاهد الشعري بحضوره الفاعل في المناظرة لما يمتاز به من كونه حجة مسكتة لإفحام الخصوم وردعهم ، فالشعر " يُستدعى كحجة مرجحة وكشاهد عدل خلال المنافرة والمخاصمة ، لا غرابة أن

---

[٥٣] ينظر : آداب البحث والمناظرة ، محمد الأمين الشنقيطي ، مكتبة ابن تيميه ، القاهرة ، د.ت.ط ، القسم الثاني : ٩١. وينظر : ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، عبد الرحمن حنبكة الميداني : ٣٧٣.

[٥٤] صبح الأعشى في صناعة الإنشا،أحمد القلقشندي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧ : ج١ /١٩١.

[٥٥] بلاغة الاقناع في المناظرة : ١٥٢.

[٥٦] المصدر نفسه : ١٥٢.

[٥٧] سورة المؤمنون : ١٤.

[٥٨] سورة البقرة : ٢٢٨.

[٥٩] سورة النساء : ١١

[٦٠] سورة الإسراء : ٣٦.

يتوسل المتناظرون في جدالاتهم بالأبيات الشعرية ، مراهنين على أثرها في الوجدان وعلى إصابتها لمواطن حساسة في الوعي الحضاري الجمعي ، بسبب ذلك حفلت المناظرات بالعديد من الشواهد الشعرية " [٦١]

لقد استدعى مؤلف المناظرة العديد من الأبيات والشواهد الشعرية دعماً لتقوية الحجة أو ادعاء المتحاورين بغية اقناع الآخر وإبراز الملامح الحجاجية لديهما ، فقد أورد المؤلف أبياتاً شعرية على لسان الشمس والقمر حيناً وأخرى لشعراء آخرين حيناً آخر كشواهد على مايريد ايصاله للمتلقي .

ومن ذلك قول القمر :

أنا قمرُ المحاسنِ والسّناءِ ... ولي بينَ الملا أبهى لواءِ
فوجهي مشرقٌ في الأرض يُبدي ... من الأضواء صباحاً في المساءِ
أروق بطلعتي الأبصارَ أنساً ... وأبهجُ بالمسرّةِ كلَّ راءِ
يرى شِبهَ الحبيبِ بي المُعَنّى ... ويشكو ما عراهُ منَ العناءِ
وينتظرُ الملا مَجلى طلوعي ... هلالاً بالمسرّةِ والهناءِ
فإنْ لم يلمحوا مرأى هِلالي ... تراهم شاخصينَ إلى الماءِ
فبي صومُ الأنامِ بكلّ قطرٍ ... كذاكَ العيدُ يبدو من لقائي

وقول الشمس :

لي رتبةٌ في العُلا تسمو بها الرُتبُ ... وأوجُ مجدٍ لهُ العلياءُ تنتسبُ
وآيةُ الحسنِ بالإشراقِ تشهدُ لي ... بأنّ متني جميعَ النورِ يُكتسبُ
إذا بزغْتُ فلي ملكُ الضياءِ وإنْ ... أغِبْ فعنيْ ينوبُ البدرُ والشُهبُ
لولايَ لم يستقِم للنّاسِ عيشُهُمُ ... ولا بَدَتْ لهمُ الأيامُ والحِقبُ
ولا حلا ثمرٌ ولا نما شجرٌ ... ولا بدا قمرٌ و لا هَمَتْ سُحُبُ
عيني أنارَتْ وجودَ الكونِ أجمعه ... ومن هُداي أهتدى الأعجامُ والعربُ
ومن ظلالي مواقيتُ الصلاةِ ومِنْ ... غروبيَ الفطرُ للصُوامِ يُرتقبُ
فلي الكمالُ الذي حُرّتْ الفَخَارَ بهِ ... " وإن عُلانيَ مَن دوني فلا عَجَبُ"

وأيضاً قول القمر منشداً :

لي منهجٌ في العلا قد عزّ مسلكُهُ ... ولي الكمالُ الذي بالفضلِ أملكُهُ
تمنّتِ الشمسُ أنْ تدنو لمرتبتي ... " وما كلُ ما يتمنّى المرءُ يدركُهُ"

- **الأساليب البلاغية التي وردت في المناظرة :**

عمد مؤلف المفاخرة إلى استخدام اساليب بلاغية متنوعة من أجل الوصول الى الإقناع في الحجاج ،إذ أنّ ميزة الكلام بين اثنين هو التخاطب مع وجود نية التأثير وبصور مختلفة " فاللغات تتفاضل في حقيقتها وجوهرها

[٦١] بلاغة الإقناع في المناظرة : ٢٣٩.

بالبيان وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون اقرب الى القبول وأدعى الى التأثير وفي صورتها وأجراس كلمها بعذوبة النطق وسهولة اللفظ والألقاء والخفة على السمع ...."[٦٢]

ويطالعنا في هذه المفاخرة أن المؤلف قد عمد إلى استخدام اساليب بلاغية متعددة من ابرزها :

أ. **الجناس** : تعددت المواضع التي ورد فيها الجناس في المفاخرة بين الشمس والقمر ، وقد عمد المؤلف الى تكرار الجناس لدى المتناظرين من اجل وصول كليهما إلى الإقناع في حجتهما ومن ابرز تلك المواضع قول القمر (زهر – بهر) وقول الشمس (زفرت – زفرة) (فارتقت عرش اليراعة والجمال – وانتقت فرش البراعة والكمال) ، (تجلت – تحلت) ، (الناضرة – الناظرة) (الخائف ، الحائف) ، (كمالي – كامل) ،وقول القمر في موضع آخر من المفاخرة (المحب والمحبوب) ، (الشفيق – الشقيق)، (الحسن ، الإحسان) .

ب. **الطباق** : أما الطباق فقد ورد أيضا في مواضع متنوعة من المفاخرة من ذلك ما جاء في قول الشمس (وأجراني لمستقري بها نزولاً وعروجاً) ، (طلوعي وغروبي) ،وورد الطباق أيضاً مما جاء على لسانها البيت الشعري إذ تقول فيه :

إذا بزغتْ فلي ملك الضياءِ وإن أغبْ فعني ينوبُ البدرُ والشهب

فالذي يمعن النظر يجد أن الطباق قد جاء في كلمتي (بزغت – اغب).

ج. **التشبيه**: يؤخذ التشبيه في كونه وصف بقوة التأثير في السامع ، فقد نلحظ أن المؤلف قد استند إلى التشبيه من اجل اظهار قوة الحجة في المفاخرة ، وقد ورد التشبيه في المواضع التالية : قول القمر مخاطباً الشمس (فهل هو إلا كخال توج به الخد المورد ، أو كنقطة عنبر صيغت على در منضد) وكذلك ماجاء في البيت الشعري الذي أورده القمر :

فكأنما هو زورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وأيضاً قوله :

يا ريـــم قـــومي الآن ويحك فانظري وجـــه الهـــلال وقـــد بـــدا في المشرق

كـخـلـيلةٍ نـــظـرتْ إلـــى خـــلٍ لها فتـــنـــقبـتْ خـجـــلاً بـــكـــُـــــمٍ أزرقِ

وقوله:(هل هو الا كخال توج به الخد المورَّد او كنقطة عنبر صيغت على درّ منضد).

وقول الشمس للقمر :(واستكبرت استكبار ابي مرة) ،(فما اراني بعد احساني الغامر الا كمجير ام عامر)، (ولتعترف بفضلي اعتراف من تنبه غب ما سها)، (فلا تعد بعد الى امر الحيف فتكون كمن ضيع اللبن بالصيف)

د. **الكناية** : ونلحظ أن الكناية كان لها حضور واضح في المفاخرة من ذلك : (ثم رنت القمر بعين محمرة ، ووجنة مصفرة) وهي كناية عن الغضب ، وكذلك (فغرتي طالع السعد) كناية عن التفاؤل ، (التهبت الشمس غضباً) ،(وثب وثبة الأسد) ، (نعب نعبة الحرد والغضب) .(ثمار لواعب الادواح)،(الكواعب الملاح)،(ذوي السهاد).

[٦٢] اسرار البلاغة في علم البيان ، عبد القاهر الجرجاني ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٢ : المقدمة /١

ه. **التكرار** : تكمن حجاجية التكرار في إعادة اللفظ أو تكرار معناه ، أو تكرار جملة أو تكرار رابط حجاجي ،أو تكرار حرف مما يعطي ايقاع جميلاً ، ونعني بالتكرار هنا " ليس ذلك التكرار المولّد للخلل والهلهلة في البناء ، ولكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء النص أو الكلام بصفة عامة "[٦٣]

ولذا يرد التكرار كي " يساعد أولاً على التبليغ والإفهام ، ويعين المتكلم على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان ، فإذا ردد المحتج الفكرة حجة ما أدركت مراميها وبانت مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقي "[٦٤]

وقد تنوعت أشكال التكرار في هذه المفاخرة من أبرزها :

تكرار الحروف : فقد تكرر حرف الراء في هذه المفاخرة مايقارب (١٥) مرة ، مما شكل إيقاعاً ومن هذه المواضع التي تكرر فيها الحرف (زهر ، بهر ، نظر ، اعتبر، السر الأكبر ...) كذلك تكرار حرف العين (الصداع ، الأسماع ، الطباع ، الأوجاع) كذلك نلحظ تكرار الكلمة في الجملة الواحدة من ذلك كلمة (باد) قد تكررت في الجملة الواحدة وكذلك تكرار كلمة (الهاجرة) و(الكلف) ، ومن يدقق النظر ملياً في هذه المفاخرة يلحظ تنوع وتكرار الحرف الواحد في أكثر من موضع مما شكل ما يسمى بفن السجع .

و. **الأمثال** : نرى أن مؤلف المفاخرة قد عمد في تأليفه إلى اعتماد إيراد الأمثال لكي يقوي حجته في الإقناع ومن تلك الأمثال : (إياك أعني فأسمعي يا جاره) ، (لا دارت لي هالة) (ضيع اللبن بالصيف) ، (شدة الحر من فيح جهنم) ، (طلوعك بين قرني شيطان) ،(لله درُ العفيف) ،(راح الباغي بخفي حنين) .

ي. **الاستعارة**:وتكمن حجاجية الاستعارة مثلا في " الخاصية التي تغلب على القول المجازي الاستعاري ، هي أن الجنس الذي يدخل فيه المستعار أو قل المستعار منه يكون مبايناً للجنس الذي يدخل فيه المستعار له " [٦٥]

ثم قالت بعد ان تجلت ببرود السناء) ،(أربّك بسنائي وليدا ،وألبسك من ضيائي ثوبا جديدا)، فانا رئيس ديوان الصبابة ،(وانيس من فوق له الهوى سهم الحب فأصابه)

- **الأفعال اللغوية** :اعتمد المرسل والمرسل إليه (الشمس والقمر) بالتعاقب أفعال الأمر والتحذير والنهي للتأثير على المتلقي واستمالته لجانب أحدهما على الآخر من أجل إثبات الأحقية ، كما يتبين في الأمثلة الآتية :

★((فلتكفُ الشمس عن مضاهاتي ، ولتمسك عن مساجلتي ومباهاتي . ولتحاول غير هذه الشطّة ، قبل وقوعها معي في أعظم ورطة . ولتعترف بفضلي اعتراف من تنبَّه غِبَّ ماسها ، وإن عادت العقربُ عدنا لها)).

المرسِل : القمر

المرسَل إليه : الشمس .

موضوع الرسالة : تحذير الشمس من المساجلة والمباهاة .

القناة : الحوارية

---

[٦٣] الخطاب والحجاج ، د. أبو بكر العزاوي ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠: ٤٩.

[٦٤] الحجاج في الشعر العربي القديم : ١٦٨.

[٦٥] اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني : ٢٩٧.

الملفوظ	الفعل التعبيري	الغرض
فلتكف الشمس عن مضاهاتي	تكف	أمر
ولتمسك عن مساجلتي ومباهاتي	تمسك	أمر الامساك عن المساجلة والمباهاة
ولتحاول غير هذه الشطة قبل وقوعها معي في أعظم ورطة ولتعترف اعتراف من تنبه غب ماسها	لتحاول– تعترف	أمر بالمحاولة في أمر آخر والاعتراف بالأفضلية للقمر

★ ((فالزم الخضوع والاستكانة ، ولا تطاول من سماك مكاناً ومكانة . فلا تعدْ بعدْ إلى الحيف ، فتكون كمن ضيَّع اللبن بالصيف .والزم الأدبَ مع أهل الكمال ، ولا تكُ ممن عرف الحق ومال.

فأنظر لما ألقيتهُ عليك بعين الفهم ج ولا تقف مالي سلك به علمج[٦٦] واطوِ من بيننا شقَّة الكلام، فإنها جالبةٌ للطعن والكلام. وأبق للصلح موضعاً ومحلاً ، وكفَّ عني لسانَكَ وإلاَّ....)).

- المرسل : الشمس .
- المرسل إليه : القمر .

القناة : المشافهة والحوارية .

الملفوظ	الفعل التعبيري	الغرض
فالزم الخضوع والاستكانة .	الزم	أمر بالتزام الخضوع وعدم المطاولة لمن هم أعلى منه ، وعدم العودة الى الحيف
ولا تطاول من سماك مكاناً ومكانة	لا تطاول	
فلا تعد إلى الحيف	فلا تعد	
الزم الأدب مع أهل الكمال ، ولاتك ممن عرف الحق فمال	الزم الأدب، لاتك	

★(فانظر لما ألقيته عليك بعين الفهم {ولا تقفْ ما ليس لك به علم}، واطوِ من بيننا شقة الكلام؛ فانها جالبة للطعن والكلام، وابقِ للصلح موضعا ومحلا وكفَّ عني لسانك والّا..)

المرسل : الشمس

المرسل اليه : القمر

[٦٦] سورة الإسراء : ٣٦.

القناة المحاورة والمشافهة

الملفوظ	الفعل التعبيري	الغرض
فانظر لما ألقيته عليك بعين الفهم .	انظر	الأمر بعدم الحديث بما لايعلم ولا يعرف والابتعاد عن شقة الكلام وكف اللسان
ولا تقف ماليسلك به علم	لا تقف	
واطوِ بيننا شقة الكلام .	واطو	
وأبقِ للصلح موضعاً ومحلاً	ابق	
وكُفَّ عني لسانك	كف	

الخاتمة

قامت مناظرة الشمس والقمر على عنصر المحاورة والمجادلة اذ كتبها مؤلفها الشيخ الاديب محمد بن بهاء الدين ابن البيطار طلبا للاستعطاف والاعتذار من عمه عبد الرزاق ابن البيطار ، متخذا منها قناعاً ووسيلة للوصول اليه اذ قال: "و بالجملة فشريف شمس نسبتي ، اطمعني ان اكون بدري المقام ، ولطيف عنقاء محبتي ، دعاني لإنشائها مع التحية والسلام "

وقد بناها مؤلفها على المحاورة والمجادلة.فهي قائمة في اساسها على المتناظرَين الشمس والقمر او المدعي والمعترض .اذ تنوعت فيها اساليب المحاججة بين شاهد ديني وشعري ومثل ، وايقاع، واسلوب بلاغي، وفعل لغوي كان لها اثرها الواضح في بناء المناظرة وتأثيرها في المتلقي ...

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأصول :دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان ،عالم الكتب، ٢٠٠٠.
- الأدب الجاهلي (قضاياه – اغراضه- أعلامه- فنونه) ، غازي طليمات ، عرفان الأشقر، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٢.
- آداب البحث والمناظرة ، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيميه،القاهرة،د.ت.ط ،القسم الثاني .
- أسرار البلاغة ،الزمخشري ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ،دارالمعرفة،لبنان،ط١، ١٩٩٨.
- اسرار البلاغة في علم البيان،عبد القاهر الجرجاني ، دار المعرفة،بيروت – لبنان،ط٢ .
- أسرار البلاغة،عبد القاهر الجرجاني،تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني،جدة، ١٩٩١،ط١ .
- البرهان في وجوه البيان ،أبوالحسن اسحاق بن وهب،تحقيق وتقديم : حفني محمد شرف ،مطبعة الرسالة، عابدين، مصر،د.ط،د.ت .
- بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف،ط١ ، ٢٠١٣.
- بلاغة الخطاب وعلم النص،صلاح فضل،عالم المعرفة، العدد ١٦٤،آب، ١٩٩٢.
- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، دار أفريقيا،الشرق،المغرب، ١٩٩٦.
- البلاغة والاتصال، جميل عبد الحميد ،دارغريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠.
- البيان والتبيين،ابو عثمان الجاحظ، مكتبة الهلال، ٢٠٠٢.
- تاج العروس،الزبيدي، المجلد الثالث، ط١ ،منشورات مكتبة الحياة،بيروت، ١٣٠٦هـ.
- التعريفات ،الشريف الجرجاني ،تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ،دار النفائس، بيروت ، لبنان،ط١ ، ٢٠٠٣
- الجامع المسند الصحيح، محمد بن اسماعيل البخاري ، تح محمد زهير الناصر،دار طوق النجاة ،ط١ ، ٢٠٠٢.
- الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ٢٠٠٨،ط١ .
- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية القرن الثاني الهجري ، بدايته واساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، ط١ ، ٢٠٠١.
- الخطاب والحجاج، د. أبو بكر العزاوي ،مؤسسة الرحاب الحديثة ،بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،أحمد القلقشندي ،دار الكتب المصرية،القاهرة، ١٩٥٧.
- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ،عبد الرحمن حنبكة الميداني، تحقيق حسين مؤنس ، الناشر دار القلم ، دمشق ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- قراءة جديدة للبلاغة القديمة ،رولان بارث، ترجمة عمر أوكان،أفريقيا، الشرق،المغرب،ط١، ١٩٩٤.

- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري،تحقيق محمد ابراهيم ،دار العلم والثقافة،مصر،د.ت.
- الفكر اللغوي عند العرب ، في ضوء علم اللغة الحديث ،أبو عبيدة ، د. رضوان منسي عبد الله ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ٢٠٠٦.
- الفكر العربي الإسلامي (من تأويلية المعنى إلى تأويلية الفهم)،مختار الفجاري، ط١ ، ٢٠٠٩ عالم الكتب الحديث،تونس .
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،طه عبد الرحمن،المركز العربي،الدار البيضاء ،بيروت، ط٢ ، ٢٠٠٠.
- في بلاغة الخطاب الإقناعي ،مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، إفريقيا الشرق، المغرب، لبنان،ط٢، ٢٠٠٢.
- كتاب الخطابة،ارسطاليس،ترجمة إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية،مصر،ط٢ ، ١٩٥٣.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط١ ، ١٩٩٨
- لسان العرب : ابن منظور،ج٢،ط١،دار صادر،بيروت، ١٩٦٨.
- المعجم الوسيط ،أحمد الزيات وآخرون، المكتبة الإسلامية ،تركيا ،ط٢ : ج١.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة،كامل المدرس، مكتبة لبنان،بيروت، ١٩٧٩
- مفتاح العلوم : السكاكي ،تحقيق نعيم زوزور،ط٢ ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان
- مفهوم الحجاج عند ليبرمان، محمد سالم ولد الأمين .
- المقدمة ،ابن خلدون،مكتبة المدرسة، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط٢، ١٩٦١
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء،حازم القرطاجني، تونس، د.ط ، ١٩٦٦